الفصل السادس عشر

عبيد إلى الرفيق الأعلى
(رحمة الله عليه) (٥ يوليو ١٩٣٢)

رواية والدي عن وفاة عبيد :

وسألت والدي عن كيف وصل خبر وفاته إليكم، فقال لي: «كنت في سن ختان الأطفال، وهذه مناسبة يحتفي بها الأهل بأبنائهم، وتقام لها ولائم ويجتمع الأهل والمعارف والأصدقاء، وفي أحد هذه الأيام طُرق الباب .... وبعد قليل جاء والدي وهو في حزن وغضب شديد وطلب من والدتي أن تجردني من كل الحُلي التي أرتديها، حيث المختون وقتها يلبس من الحُلي أكثره، فغضبت جداً وإعترضت، فكنت فرحاً بما أرتدي وبجواري أقراني، وبعدها علمت بوفاة «عمي عبيد» الذي لم أراه بل سمعت عنه فقط، وقال لي والدي أيضاً :«لقد طُلب مني، وقتها عدم إقامة عزاء ولا تجمهور وهذا أمر لا يقبل المناقشة وواجب التنفيذ، حدث هذا في٥ يوليو ١٩٣٢،هل رأيت من قبل مثل هذا الظلم والاضطهاد والجبروت.....!!!!! وخيم الحزن علينا وبكيناه في دواخلنا وما جفت دمعة زرفت من والدته وشقيقاته وباقي العائلة في هذا الفقد العظيم ووري الثري في مدينة «واو»، و تسلمت جميع أغراضه وقمت بدوري بتقديمها إلى والدته السيدة عرفة الخبير، الجلدة الصابرة .... وهكذا فقدت الابن قبل الأخ.

الخليل فى رثاء عبيد :

خليل فرح كان من أحد أصدقاءه المقربين ومن رفاق وأبطال اللواء الأبيض وشعره يتغنى به، مثل «عزه فى هواك ونحن ونحن الشرف البازخ» ... لم تمر ذكرى وفاة الرفيق عبيد حاج الأمين إللا وتأثر بها أحد رفاقه، وهل هو الشاعر الوطنى الهمام خليل فرح أهدى عبيد قصيدة وطنية :

وقـفٌ عليـك وأن نأيـتِ فـؤادى ... سيّان قربـى فى الهـوى وبعـادى
يـا دارَ عـاتكتى ومهـدَ صـبابتى ... ومثـارَ أهـوائى وأصـلَ رشـادى
كـم فى سـمائك للنبـوغ وفى ثـرى ... لـك كالطبيعـة فى الخمائـل روغـة
إيـــــه فديتك يا بلادى ألّفى ... فعـلى كـلا الحـالين نحـن ودائـع
رعيـاً لآبـاءٍ قضـوا شـوقاً ومـا ... واف الربيـع وفى ربوعـك فتيـةٌ
زهـرٌ كـأن وجـوههم مـن نبلهـا ... أبنـاء يعـرب حيـث مجـد ربيعـة
متشـابهون لـدى العـراك كأنمـا ... مـاذا يقـول المرجفـون وكلنـا
أصـحاب مائـدةٍ وأسـرة منـزلٍ ... هـذى ديـارهم وتلـك ربـوعهم

خفيت عليهم منـك بيـضُ أيـادى
كـــانوا بطلعتهم ربيـع النـادى
زهر الكواكب للـعيون بـوادى
وبنو الجزيرة حيث بيت أيـاد
نبتت رمـاحهم مع الأجسـاد
فى الله والأوطـان أهـل جهـاد
ونتـــاج بـــاديةٍ وفـتية وادى!
فسقى ثرى واديـك صـوبُ عهـاد

عثمان محمد هاشم في رثاء عبيد:

ورثاه صديقه العضو «عثمان محمد هاشم» في قصيدة من ديوانه «أوشحة الأغاني» وهذا جزء من الرثاء:

ان الثمار جنيناها على عجـل تلـك ... التـى قـد غرسـناها بأيـدينا
هذا عبيد[1] جنـوب النيـل يرمقنـا ... وذا علّـى[2] شـمال النيـل يـدنينا
والنيـل وحـد بـين القـاطنين بـه ... والمـاء سـر حيـاة الكـون يسـقينا

(١) عبيد حاج الأمين.
(٢) علّى عبد اللطيف.

أحد أحفاد شيخ علماء السودان يروي قصة زيارة الرئيس نميري لقبر عبيد :

روي لنا اللواء (هاشم الخير) فقال: عندما كنت في الخدمة في جنوب السودان زارنا الرئيس السابق «جعفر نميري» وقمنا معه بزيارة إلى قبر البطل الشهيد عبيد حاج الأمين، وقرأنا الفاتحة علي روحه، ومن ثم طلب الرئيس وضع شاهد علي قبره. فكان الرئيس ونائبه «أبو القاسم محمد ابراهيم» من أشد المعجبين بالبطل.

أقوال أحد أحفاد عبيد (محمد الأمين شيخ إدريس حاج الأمين) :

قال«اخوي عبيد هو أول حفيد في الأسرة سُمّي على البطل عبيد حاج الامين واسمه مركب عبيد حاج الامين الشيخ إدريس حاج الأمين وهو مولود في لندن، عبيد اخوي زار العازه حاج الامين قبل وفاتها بأيام وعندما رأته بكت بشدة تذكرت أخوها عبيد، أما عن البطل عبيد حاج الامين كان في وقت موجود مع جدي الشيخ إدريس في بيته الاول في المحس و عرفت من جدتي والدة أبي (عائشة بت الفكي البشير) ان جدي الشيخ إدريس كان دائما يزور عبيد في السجن ومعه والدته (عرفه الخبير) وكان عندما يعود من الزيارة يصاب برجفة شديدة حتى أصيب بالسكري، لتأثره بحالة أخيه وهو بين قضبان السجن. استشهد البطل عبيد حاج الامين في العام ١٩٣٢ بعد ولادة أبي بأيام رحمة الله عليه واسكنه فسيح جناته وكان جدي الشيخ إدريس مواصل لاخواته العازه و نفيسة وبت المنى شقيقات عبيد.

الحفيد عبيد عبد الله حاج الأمين في ضيافة النائب الأول :

النائب الأول لرئيس الجمهورية «أبو القاسم محمد ابراهيم هاشم»، من أشد المعجبين كما أسلفت عن بطولات عبيد فطلب من والدي أن يصطحب شقيقي عبيد في ضيافته ويتكفل به ويجعل منه نسخة أخري من جده عبيد فكان شديد التعلق به ويصطحبه في كثير من المناسبات فخوراً. ولكن والدي رحمة الله عليه لم يبديء إعجابه بالفكرة وأكتفي فقط بمرافقته له وقتما يشاء، كل التحايا العم العزيز أبو القاسم فهو إبن خالة والدي أي أحد أحفاد شيخ العلماء.

قبر عبيد الحاج الأمين (رحمة الله عليه) ـــ ٥/ ٧/ ١٩٣٢م (واو)

قصة الطبيب اليهودي:

يتردد في الأسرة هذا القول « بأن طبيب يهودي من حقنه بالسم، ويقال أن الطبيب كان يردد: هذا الشاب سوف يكون السبب في إخراج الانجليز من السودان»، لا أعلم من أين آتت لهم هذه المعلومة وما مدي صحتها ولكن أستشعر الصدق في قولهم، فقادني القول إلي التفكير جلياً، في الطريقة التي تم بها إخماد الثورة والفظائع المرتكبة في حق هؤلاء العزل، والدسائس والمؤامرات، وسحب الجيش المصري من السودان، وطريقة النفي هذه التي لا تمت للإنسانية بصلة، وفيها بيات النية بالخلاص من القادة والمخططين الدهاة بعيداً عن أي عين راقبة .... وإلقاء فكرة «الإتحاد مع مصر» .... فهذا هاجس سبب لهم كثير من المتاعب. بحثت في الفترة الزمنية منذ الحكم الثنائي (١٨٩٩) إلي عام الثورة (١٩٢٤)، فوجدت في العام ١٩١٧ .... (وعد بولفر) .... هذا الوعد به كل الآمال التي زرعوها في مخيلتهم، ولا يتعجلون الحصاد الأن بل سياستهم هي سياسة المدي الطويل ــ النفس الطويل ــ فكيف يسمحون لنجاح أي من قائل وحدة وإتحاد، وشعارتهم متمثلة في ثورة ١٩٢٤ التي تريد دحض وعودهم وآمالهم المستقبلية، فما هو هذا الوعد؟؟؟.

وعد بلفور:

أو تصريح بلفور هو الاسم الشائع المطلق على الرسالة التي أرسلها آرثر جيمس بلفور بتاريخ ٢ نوفمبر ١٩١٧ إلى اللورد ليونيلو ولتردي روتشيلد، يشير فيها إلى تأييد الحكومة البريطانية لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين. حين صدر الوعد كان تعداد اليهود في فلسطين لا يزيد عن ٥٪ من مجموع عدد السكان. وقد أرسلت الرسالة قبل أن يحتل الجيش البريطانى فلسطين. يطلق المناصرون للقضية الفلسطينية عبارة «وعد من لا يملك لمن لا يستحق» لوصفهم الوعد.

ترجمة نص الرسالة:

وزارة الخارجية

في الثاني من نوفمبر/ تشرين الثاني سنة ١٩١٧

عزيزي اللورد روتشيلد

يسرني جداً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالته، التصريح التالي الذي ينطوي على العطف على أماني اليهود والصهيونية، وقد عرض على الوزارة وأقرته: «إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى إقامة مقام قومي في فلسطين للشعب اليهودي، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في أي بلد آخر».

وسأكون ممتناً إذا ما أحطتم الاتحاد الصهيوني علماً بهذا التصريح.

المخلص/ آرثر جيمس بلفور

تفسيرات المؤرخين:

فهناك نظرية مفادها أن«بلفور» قد صدر في موقفه هذا عن إحساس عميق بالشفقة تجاه اليهود بسبب ما عانوه من اضطهاد وبأن الوقت قد حان لأن تقوم الحضارة المسيحية بعمل شيء لليهود، ولذلك، فإنه كان يرى أن إنشاء دولة صهيونية هو أحد أعمال التعويض التاريخية. ولكن من الثابت تاريخياً أن «بلفور» كان معادياً لليهود، وأنه حين ما تولى رئاسة الوزارة الإنجليزية بين عامي ١٩٠٣و١٩٠٥ هاجم اليهود المهاجرين إلى إنجلترا الرافضين الإندماج مع السكان وان تصدر تشريعا تتحد من الهجرة اليهودية لخشيته من الشر الأكيد الذي

قد يلحق ببلاده. وقد كان «لويد جورج» رئيس الوزراء لا يقل كرهاً لأعضاء الجماعات اليهودية عن «بلفور»، تماماً مثل« تشامبرلين» قبلهما، والذي كان وراء الوعد البلفوري الخاص بشرق أفريقيا. وينطبق الوضع نفسه على الشخصيات الأساسية الأخرى وراء الوعد مثل جورج وملنر وإيان سمطس، وكلها شخصيات لعبت دوراً أساسياً في التشكيل الاستعماري الغربي. ويرى بعض المؤرخين أن إنجلترا أصدرت الوعد تعبيراً عن إعترافها بالجميل «لوايزمان» لإختراعه مادة الأسيتون المحرقة أثناء الحرب العالمية الأولى، وهو تفسير تافه لأقصى حد لا يستحق الذكر إلا لأنه ورد في بعض الدراسات الصهيونية والدراسات العربية المتأثرة بها. ويبدو أن«وايزمان» نفسه قد تقبَّل هذا التفسير بعض الوقت.ولذا، حينما توترت العلاقات بين إنجلترا والمستوطنين الصهاينة في الأربعينيات، وضع وايزمان مواهبه العلمية تحت تصرف الإمبراطورية، متصوراً أن بإمكانه ممارسة بعض التأثيرعليها... وهناك نظرية تذهب إلى أن الضغط الصهيوني (واليهودي) العام هو الذي أدَّى إلى صدور وعد بلفور، ولكن من المعروف أن أعضاء الجماعات اليهودية لم يكونوا كتلة بشرية ضخمة في بلاد غرب أوروبا، وهم لم يكونوا من الشعوب المهمة التي كان على القوى العظمى أن تساعدها أو تعاديها، بل كان من الممكن تجاهلهم. ويمكن القول بأن أعضاء الجماعات اليهودية كانوا مصدر ضيق وحسب، ولم يكونوا قط مصدر تهديد. أما الصهاينة فلم تكُن لهم أية قوة عسكرية أو سياسية أو حتي مالية (فأثرياء اليهود كانوا ضد الحركة الصهيونية). ولكل هذا، لم يكن مفر من أن تكون المطالب الصهيونية على هيئة طلب لخدمة مصالح إحدى الدول العظمى الإمبريالية.

❖ مجرد رأي: وأحسب أن نظريتهم بدأ تطبيقها علي أرض الواقع، فبعد فصل السودان عن مصر فها هو .... جنوب السودان الذي ذهب إلي الإنفصال ثمرة حصاد زرعهم...أليس من العجيب أن أبطال وقادة اللواء الأبيض (ثورة ١٩٢٤)، البواسل ترقد جثماينهم ما بين مصر والسودان وجنوب السودان، أليست هذه رسالة منهم وهم تحت الثري .... أبوا ألا أن تتم وحدتهم متمثلة في

وادي النيل، فها هو «الزعيم والقائد علي عبد اللطيف، دفن في مصر» .... «الزعيم ووكيل الجمعية عبيد حاج الأمين دفن في واو بجنوب السودان» ..... وباقي القادة في السودان ... وها هو النيل يجري من منبعه إلي مصبه محيياً الأبطال .... وأجري يا نيل الحياة ... فأنت الذي تستطيع أن تحيهم وتقدم لهم كل التحايا والتقدير والود والشكر والعرفان الجزيل..... لقد قدمتم أرواحكم نفيسة في ظل وطن حر مستقل ليس متمثلاً في الوطن الوليد السودان بل في الوطن الأم «وادي النيل»، شماله وجنوبه.